مؤتمر "طرق مبتكرة لمواجهة التطرف العنفي"
بيت المستقبل ومؤسسة كونراد أديناور
الجمعة، 11 كانون الأول، 2015
فندق الكومودور – بيروت

الجلسة الأولى: "الوقاية من التطرف: مقاربة مبتكرة"

حسن منيمنة
مدير Middle East Alternatives في واشنطن

إن تحديد معنى الإرهاب وتحديد من هو إرهابي ما يزالا موضوع جدل، إذ أن من يراه البعض عملا إرهابيا يراه البعض الأخر عملا بطوليا، ومن يراه البعض إرهابيا مجرما يراه البعض الأخر بطلا ومقاوما. حتى الأن لم يتم الاتفاق على تعريف موحد للإرهاب.

هناك رؤيتين في محاولة تفسير معنى الإرهاب، الرؤية الأولى تعتمد التفسير البنيوي والثانية تعتمد التفسير الثقافي. التفسير البنيوي الأكثر شيوعا يردّ سبب نشأة التطرف العنفي إلى العامل الاقتصادي أو الاقتصادي الاجتماعي أو الاقتصادي الاجتماعي الجيلي. وللعامل الاقتصادي أهمية في نشأة التطرف العنفي والإرهاب، ونأخذ على ذلك مثال الشعار الذي رفع أبّان ثورة يناير في مصر (عيش ، حرية، عدالة اجتماعية) والذي أعطى الأولوية للعيش الكريم. إن الكبت والقضم الناتجين عن الظروف الاقتصادية الصعبة يؤديان إلى سلوك يخرج عن الإطار السياسي، ولا بد من معالجة الشؤون الاقتصادية للوقاية من التطرف. أما التفسير البنيوي الأخر فهو التفسير السياسي، الذي يربط نشأة الإرهاب من جهة بالأنظمة الاستبدادية وغياب المشاركة السياسية، ومن جهة أخرى بوجود منظومة دولية قائمة على المصالح. إن إرساء ثقافة الديمقراطية والمشاركة السياسية والتداول في السلطة تساهم في منع التطرف، وكذلك حل بعض النزاعات الدولية، كالقضية الفلسطينية. والتفسير البنيوي الثالث والذي يلقى تجاوبا من الباحثين هو التفسير الاجتماعي-النفسي، لاسيما في ما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط حيث يعاني الناس بعامة والشباب بخاصة من العديد من الكوابتز إن معالجة هذا الجانب تساعد على الوقاية من التطرف والإرهاب.

أما الرؤية التي تعتمد على التفاسير الثقافية، أبسطها التفسير الذي يعيد سبب الإرهاب في الشرق الأوسط إلى طبيعة المجتمعات القائمة على السلطة والقوة وما تنتجه من تركيبة ثقافية. والتفسير الثاني الشائع في أوروبا والولايات المتحدة، يربط نشأة التطرف والإرهاب بجوهر الإسلام، معتبرا أن الحرب على الإرهاب هي حرب بين الغرب والإسلام. إن هذا التفسير مكبّل لكنه يلقى رواجا في الغرب وبخاصة بعد أحداث 11/9، حين بدأ الكلام في الغرب بعامة والولايات المتحدة بخاصة عن صراع حضارات. وفي هذا الإطار، يربط البعض الإرهاب بالفكر الوهابي السلفي وليس بالإسلام بعامة، معتبرا أن الحرب مع الإرهاب هي حرب مع الثقافة الوهابية.

جميع هذه التفسيرات تلقي الضوء على جوانب من الموضوع ولكنها غير كافية. فالتفسيرات الحضارية لا تعني وجود تصادم بين الحضارات بقدر ما تعني وجود تصادم بين حداثة اكتملت في الغرب، وحداثة لم

تكتمل في الشرق. إن المجتمع الغربي أنتج عبر تاريخه ثقافة الدول المؤسساتية التي تقوم على احترام حقوق الإنسان والتسامح والقبول بالأخر، بدءا بعصر النهضة والفكر التنوري الذي نجح مع الثورة الفرنسية. أما في الشرق، فقد تم اقتباس هذه الثقافة مع قدوم جيش نابليون، ما مهد إلى قيام ما سمي في هذه المرحلة بالعاميات. وسعى الشرق إلى استيعاب هذه الثقافة ولكنه فشل لأنها في الأساس لا تشكل جزءا من ثقافته.

أخيرا، عندما نرى ما جرى بعد الحرب العالمية الأولى من قيام نظام جديد يبدو الأن أنه مضعضع، يفرض علينا التقييم الموضوعي القول إن القرن العشرين في الشرق الأوسط كان قرن إعادة تشكيل الدولة واستيعاب مفهومها على الطريقة الأوروبية. ولكننا لم ننجح، وما تم إنشاؤه هو دول أبوية فاشلة، مؤكدا أن ما نشهده اليوم هو فشل حضاري على مدى 200 عاما، عجزنا خلالها عن استيعاب المفاهيم الاجتماعية المنبثقة عن المفاهيم السياسية التي اقتبسناها عن الغرب.

إن عقلية المتطرف تنطلق من هذه الثابتة: لهم القنابل ولنا الاستشهاديون، عنفهم (الغرب) مخبأ وعنفنا مفتوح، لاننا نلجأ إليه لإعادة توازن الرعب بين الطرفين.